عاصياً لله عز وجل فاعل كبيرة مذموماً تماماً وقد أبيح الكذب في اظهار الكفر في التقية . ونقل الاستاذ غولدسير في رسالته التقية في الاسلام عن بعض علماء الشيعة : ان الله جعل هذه التورية مما حفظ به شيعتنا ومحبينا . ونقل : مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس له. ونقل من كتاب كشف القناع عن وجوه حجة الاجماع ان امير المؤمنين كان منذ قبض الله نبيه في حال تقية ومداراة ومدافعة لاستيلاء من استبد بالامر الخ ... ان التقية لم تفارقه ولم يجد منها بداً في حال من الاحوال ولم يتمكن من تتبع احوال القوم وكان يقول لقضاته وقد سألوه بماذا نحكم فقال :احكموا بما كنتم تحكمون حتى يكون الناس على جماعة او اموت كما مات اصحابي .

هذا ما اتانا من النقول بعد طبع ذاك المبحث فالحقناه به تتمة له والغاية منه كما علمت تاريخية اجتماعية صرفة وذلك لان للتقية علاقة كبرى بمجتمعنا ونهضتنا

التعليم في المانيا

اعظم حسنة تسجل لالمانيا فصلها التعليم الديني عن التعليم الدنيوي بدون ان تمس احدهما بسوء وتعطي لاحدهما ما سلبته من الثاني ولذلك استقام امرها واصبحت مدرسة العالم فلم تغلُ في محاربة الدين كفرنسا ولم تبالغ في التعصب له كاسبانيا بل كانت بين بين واليك ما قاله صاحب كتاب المانيا الحديثة ونشوئها في كيفية فصلها للتعليمين على اسلوب حكيم قال ما ترجمته :

جاهدت المانيا في سبيل نشوئها المادي ولم تترك الجهاد في طريق ارتقائها العلمي واحداث تعليم وطني لبلادها تتعاوره الايدي بالاصلاح كل حين . ومن المحقق ان الحكومة الالمانية اخذت على نفسها في القرن الثامن عشر ان تنظم قواها الدفاعية والهجومية وان تنمي شعبها وثروتها وتسهر على امن رعاياها ورفاهيتهم المادية ولكنها لم تقف عند هذا الحد في القرن التاسع عشر بل ما كاد يطلع فجره حتى قام الفيلسوفان فيختي وهيجل يحققان الامالي بما انشآه من الاوضاع العلمية ويدلان الالمان على الطرق التي تبلغ بهم اقصى درجات الارتقاء . وما برح هذا الاعتقاد منذ نهض هذان العظيمان ينتشر ويقوى حتى ادى الى نتيجتين عظيمتين احداهما تولي الحكومة لادارة التعليم بدل الكنيسة واخذها على عاتقها تنسيقه ومراقبته وتوفرها على نشره على اختلاف درجاته توفراً لم يسبق له نظير وثانيتهما ان الامة انتظمت

حافظا على التدريج فابقت بتسأل عنه مع جميع افرادها ورأت ان من واجبها ان تحتفظ برأس مالها الانساني فتحمي المساكين والضعفاء خاصة وتدفع عنهم عوادي اهلاك واسواء الفساد الادبي وقد اليهم يد المعونة في الازمات وتقيهم عوارض العجز والزمانة . وهكذا كان نجاح التعليم العام وتنظيم التضامن الاجتماعي اول ما بذلت الحكومة الالمانية عنايتها به .

اخذت الحكومة اولاً بتتابع تصبغ التعليم بصبغة عامية وتسلب من الكنيسة هذا الحق بعد ان كان في القرون الوسطى لها وحدها القول الفصل في شؤون التعليم . ففي اواخر القرون الوسطى سقطت الكليات تحت مراقبة الحكومة وبعد دخول عيد الاصلاح « قيام لوثيروس المصلح في النصرانية » سقطت في يدها المدارس الثانوية ايضاً . وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر جاء دور المدارس الابتدائية فآل امرها الى الحكومة تصرفها كما تشاء وتهوى . قبضت بيدها على ازمة التعليم واخذت في ادخال التغيير عليه . فقد كانت الكليات والمدارس اللاتينية فيما سبق ترى من اهم واجباتها ان تخرج رهباناً ولاهوتيين فتعنى المدارس الابتدائية بنشر مبادىء الاعتقاد الديني بين الامة وتعد الاطفال ليختلفوا بعد الى البيع ويحضروا وعظ يوم الاحد . بيد ان المدارس لم تلبث ان نزعت عنها الصفة الدينية فاصبحت مجامع علمية لا يتصدر فيها اللاهوتيون اليوم كما كانوا امس ولا يتصدر فيها الفلاسفة واللغويون كما كانوا في اوائل القرن التاسع عشر بل الصدارة فيها كل الصدارة لرجال العلم والاطباء .

انتظمت المدرسة الالمانية على صورتها الحاضرة في اوائل القرن التاسع عشر وخلعت عنها اللباس الديني بل صبغته بصبغة الفكر الادبي المولد من الحضارة اليونانية التي ازهرت دراستها على ذاك العهد في المانيا وانشأت تعلم تعليماً من مجملات العلوم كعلم اللغات والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية . ثم نزعت يدها من يد الكنيسة بتحريض بستالوزي (١) واخذت تنمي في نفوس التلاميذ الاعتماد على النفس وحب العمل وتبث فيهم بحسب مطالب اللاهوت الادبي الذي قال به « كانت » الفيلسوف القول بحب الذات او بالشخصية Conscienc de la personalité الحرة المستقلة . ولئن كان التعليم العام نحو منتصف القرن الثامن عشر قد بقي على صبغته الدينية ولا سيما في البلاد التي تنتشر فيها الكثلكة فان

(١) حنا هنري بستالوزي (١٧٤٦ — ١٨٢٦) من كبار علماء التربية في الالمان نشر بين قومه مبادىء روسو الفيلسوف ودعا الى تعليم الالمان ولا سيما الفقراء منهم الصناعات والزراعة وعلم مئات من ابناء الطبقات البائسة في بيته وآواهم على قلة ذات يده . وله مصنفات كثيرة نفعت المانيا في عهضته

المدرسة الابتدائية في القرن التاسع عشر اصبحت على التدريج مدرسة وطنية تشرب فيها قلوب الشبان محبة الوطن كأنها دين ثان . كل ذلك بفضل العناية التي صرفت لتعليم اللغة الالمانية وتاريخ المانيا .

ولا يزال للكنيسة الى اليوم تأثير مهم في المانيا ولا سيما في دائرة التعليم الابتدائي . وقد ظلت المدرسة على الجملة تقر بالايمان وتعترف به وما زالت تعلم تعليماً دينياً اعتقادياً . ومن العجب ان ترى تحت مدارس كاثوليكية او برتستانتية او اصلاحية تعلم تحت حماية الحكومة حقائق دينية بادية التناقض وهي خاضعة في كثير من الاحوال للتفتيش الكنائسي . وقد ثبت ان الاصوات ما برحت تعلو بالشكوى من هذه الحالة فيشتكي المخالفون من الزام اولادهم بتعليم مناف لايمانهم او لمعتقدهم العلمي . حتى انك لترى في المعلمين كثيرين يقيمون الحجة على الاكراه في تعليم الدين بحسب قانون لا ينطبق على معتقداتهم الخاصة . وهناك حزب عظيم من القوم يطالب على الدوام بالاستكثار من المعاهد التي تقبل التلاميذ من كل المذاهب .

والظاهر ان المانيا لا تنوي الآن نزع النصرانية من المدرسة حتى ان ارباب الافكار الحرة وهم بعيدون عن كل معتقد لا يرون بان نزع الصبغة الدينية من التعليم في المانيا هو من الممكن او مما يرغب فيه وهم معتقدون بانه متى اصبحت المدرسة «كافرة» لا دين لها يحوّل قسم وافر من سكان البلاد ولا سيما من الكاثوليك وجوههم عن المدارس العامة وينظمون لابنائهم مدارس خاصة يتلقى فيها الاطفال التعليم الديني الذي يراه ذووهم ضرورياً لهم . على ان جمهوراً كبيراً من الالمان لا يرون «المدرسة الحرة» على الطريقة الفرنسوية من الانموذجات التي تحتذى والامثلة التي ينسج عليها .

يرى المسيو بولسان وهو من مشاهير المؤرخين في علم التربية ومن ارباب التأثير ان فرنسا الكاثوليكية ان رأت اضطرارها الى تأسيس مدرسة عامية حرة لتكون متشبعة بالروح الوطنية فان هذه الضرورة لم توجد لحسن الطالع عند الالمان لانهم اعتادوا مجاراة للنشوء الديني ان يوفقوا بين العلم والدين والمعرفة والايمان ولم من الثوراة اداة لا مثيل لها من التربية الادبية لا تغني عنها اجمل الشذرات المنتخبة من كتب الآداب العامة . اذاً فلا مانع يمنع الاساتذة من احتفاظهم بالتعليم الديني والتوراة وان يعدوا عقول النابتة الالمانية لتعليمها مبادىء النصرانية التاريخية مشذبة من صبغتها الدينية مقتصراً على ما فيها من لباب الآداب . اما انا فلا اتعجب مما يذهب اليه العالم المشار اليه من هذا التوفيق اذا كان هو المقبول بين اهل الطبقة الوسطى في البلاد اكثر من المذهب المتطرف الذي ينبذ من

المدرسة كل تعليم ديني . فالتعليم العام على هذا الوجه يتحرر من قيوده كما انه يكون اكثر انصباغاً بالصبغة الديمقراطية .

ولقد كان التعليم في المانيا بادىء بدء مقصوراً على طائفة خاصة من الناس ثم صار تعليماً اكليريكياً في القرون الوسطى ثم عالياً وارستوقراطياً على عهد النهضة (سنة ١٤٥٣) الى القرن الثامن عشر ثم اصبح مدنياً بامتزاجه بفلسفة انكار الوحي والانصباغ بصبغة الحضارة اليونانية فساغ بذلك لاهل الطبقة المتحضرة من الالمان ان يرأسوا الحركة العقلية . وفي القرن التاسع عشر اقتربت المانيا شيئاً فشيئاً مما كانت ترمي اليه من التهذيب الوطني الذي نادى به فيختي في خطبه للامة الالمانية .

زالت الحواجز التي كانت تحول دون اصناف التعليم ولم تبق اللغة اللاتينية لغة اجبارية لكل من اراد التهذيب العالي . وانتزع من المدرسة المدنية على التدريج ما كان لها سابقاً من صبغة مدرسة لاتينية وكان من النجاح الذي تم للمدارس الابتدائية او قرب بينها وبين المدارس الثانوية وان قلت على التوالي مسافة الخلاف بين الاساتذة الذين تخرجوا في المدارس الدينية وبين الاساتذة الذين تلقوا التعليم العلمي لا سيما وان التعليم على اختلاف درجاته اصبح يلبس ثوب العمل والحقائق . وكان تعليم الطبقات العالية في المجتمع الالماني في اواخر القرن الثامن عشر عبارة عن تحسين الذوق والادب فخلف هذا التعليم في اوائل القرن التاسع عشر التعليم الادبي . وقد رأينا النشوء نحو الفلسفة الحسية الذي تم بين الطبقات المستنيرة وكان من امر هذا النشوء بالطبع رد فعل في معاهد التعليم فغدا التعليم على اختلاف درجاته اكثر تشبعاً بالروح الادبية او الفلسفية واقل تمسكاً بالنظريات . وقامت بجانب المدرسة الادبية مدارس احدث من مدارس الفلسفة الحقيقية والحسية وزادت العناية بتعليم العلوم واللغات الحية فكانت وافية بحاجات اهل المدن الصناعية او التجارية ونشأت بالقرب من الكليات في كل مكان مجامع علمية ما زالت على ارتقاء ونماء . وهكذا اخذ يتداعى الحاجز القديم الذي كان قائماً بين المتعلم في القديم العلوم الادبية واللغوية والأمي الذي لم يكن يعرف اللغات المدرسية وحل التهذيب الديمقراطي العام الذي لا يتطال اليه كل امريء ولم يكن واحداً للكل بل يحق لكل فرد ان يأخذ منه بقدر ما تسمح له قواه الطبيعية والعقلية محل التهذيب الادبي واللغوي الخاص بعلية القوم واهل الطبقة المستنيرة منهم .

وعلى الجملة فقد عملت المانيا في خلال القرن الماضي بهمة لم تعرف الوناء في سبيل نشر العلم بين جميع ابنائها ولا شك ان حماستها في ميدان المدارس اختلفت صعوداً وهبوطاً في تلك الحقبة من الزمن . فكانت شديدة للغاية في خلال الثلث الاول من القرن الذي

وضعت فيه أسس نظم التعليم العام من المدرسة الابتدائية الى الكليات ثم بردت في خلال الثلث الثاني من القرن خاصة فكانت حكومات المانيا على عهد الثورة بين سنتي ١٨٣٠ و١٨٧٠ يحذرن بل يعادين التعليم العام ولكنه عادت اليه حياته غداة الغلبة التي كتبت لبروسيا وتوطيد كلمة الامبراطورية . وقد جرت بين الناس جري المثل بان المعلم الالماني كان هو الظافر الحقيقي في معركتي سادوفا وسيدان وان غلبة المانيا انتها في الحقيقة من سرّ تقدمها في مضمار العلم والتهذيب . لاجرم انه بدرت اليوم بوادر الشك في فضيلة تأثير التعليم ولذلك تلاحظ في الاندية التي لها اتصال بالكليات اعراض التواني وتجد العقول في حالة تشبه الحالة التي دفعت بعض ارباب الافكار عندنا « الفرنسويين » ان يطالبوا باسقاط العلم و « نفليسه » فاثبتوا والسويداء مغلبة على عقولهم بان العلم الذي يرجى ان يكون منه كشف اسرار ما في الكون وان يأخذ بايدي الآخذين من معينه فيقودهم الى وجهة عامة ويسوق ارادتهم سوقاً لم يؤد قط الى حقائق قطعية مطلقة . بلى كان من منافعه ان حلّ بعض المعضلات حلاً قليلاً موقتاً لا يزال على الدهر موضع النظر والتنقيح . وكثير في الناس من شعروا دفعة واحدة بان قد انتهكت قواهم بما يقضي عليهم تعلمه من المعارف الكثيرة التي توهلهم الى الاحاطة بعض الشيء في دائرة من دوائر العلم ولذلك يئسوا او كادوا من هذه الحالة التي توشك ان تكون مستديمة هذا التشوه الذي لا حدّ له وتستلزمه دواعي العلم . وربما ظهر اليوم ما كان يخالج افئدة الضيقة الخاصة وبعض اهل الطبقة الوسطى من سوء الظن بالمستقبل الذي استحكم منها حوالى منتصف القرن . وتتساءل الحكومة فيما اذا كانت لم تسرف في بث التعليم بين طبقات الامة وفيما اذا لم يكن التعليم نقمة لا نعمة على قسم عظيم من الامة وفيما اذا كان لا تتعذر ادارة شؤون امة نالت من التعليم شطره او نصفه . وقد ساعد القلق الذي سببه نجاح الاشتراكية على نشر هذه الشكوك بين الناس كانوا منذ عهد غير بعيد مقاومين كل المقاومة بل مقتنعين كل الاقتناع بانه من الفروض العينية على الحكومة ان تبذل العلم وتنشره بين جميع رعاياها .

وقد ظل الرأي المعتدل موقناً على الجملة كما قال المسيو بولسن بانه لا تحرز المكانة العليا في الجياد العام نحو التفوق والسلطة الا الامم التي تحسن ان تضمن لفتيانها تعليماً متيناً وتهذيباً راسخاً بما تنظمه من المدارس المتقنة وما تكوّنه من البيوت الناجحة من حيث شؤونها الاقتصادية والسالمة من شوائب المفاسد الاخلاقية

ويرى العارفون ان تعويل الارتقاء الذي فازت به المانيا اكثر من اسراع الالمان قبل جميع الامم في وضع التعليم الاجباري قبل غيرهم ومن عنايتها بتخريج اساتذة عارفين ما يمكن

في جميع فروع التعليم . ويستنتجون من ذلك بان جبل السواد الاعظم من الامة لا يتأتى ان يكون البتة ضمانًا لراحة مملكة وبقائها وان الظاهر من مصلحة الحكومة الملوكية انها تطلب تفاني الحكومة في نشر التعليم وان المستقبل مضمون للأمم التي تحسن اكثر من غيرها حل مشكلة التعليم الوطني .

صحف منسية

وصف عاصمة الاندلس

قال لسان الدين بن الخطيب في « كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة » عند ما ألمّ باسم هذه المدينة ووضعها ووصفها الجغرافي ما نصه : وبردها لذلك من المنقب الشتوي شديد وتجمد بسببه الادهان والمائعات ويتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين فجسوم اهلها بصحة الهواء صلبة وسحانهم خشنة وحضومهم قوية ونفوسهم بمكان الحرية الغريزي جريئة وهي دار منعة وكرسي ملك ومقام حصانة . وكان ابن غانية يقول للمرابطين في مرمونة وقد عوّل عليها للامتساك بدعوتهم « الاندلس درقة وغرناطة قبضتها فاذا تجشمتم يامعشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من ايديكم » ومن ابدع ما قيل في الاعتذار عن شدة بردها مما هو غريب في معناه قول القاضي ابي بكر بن شبرين .

رعى الله من غرناطة متبوا ... يسر كئيبًا او يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عند مارأى ... مسارحها بالبرد عدن جليدا
هي الثغر صان الله من اهلت به ... وماخير ثغر لا يكون برودا

وقال الرازي عند ذكر كورة البيرة: ان ارضها سقي غزيرة الانهار كثيرة الثمار ملتفة الاشجار واكثرها ادواح الجوز ويحسن فيها قصب السكر ولها معادن جوهرية من ذهب وفضة ورصاص وحديد وكورة البيرة اشرف الكور نزلها جند دمشق ... وخصها لا يشبه بشيء من بقاع الارض طيبًا ولا شرفًا الا بالغوطة غوطة دمشق . وقال بعض المؤرخين بعد ان عدد نباتاتها ومعادنها : وكفى بالحرير الذي فضلت به فخرًا وقنية وغلة شريفة وفائدة عظيمة تمتاز منها البلاد وتجلبه الرفاق فضيلة لا يشاركه فيها الا البلاد العراقية وخصها الافيح الشبه بالغوطة الدمشقية حديث الركاب وسمر الليالي قد دحاه الله في بسيط سهل تخترقه